

## بدون عمليات فيلم الممر ما سمعنا صرخات الشعر الإسرائيلي

إبراهيم البحراوي

الجمعة 01:22 2019-08-30



ما زالت استديوهات السينما الأمريكية تنتج أفلاما تاريخية عن معارك التصدي لقوات الاحتلال والعدوان الألمانية واليابانية في الحرب العالمية الثانية دون أن نسمع احتجاجات لا من ألمانيا ولا من اليابان اللتين تعيشان في مرحلة سلام بل تحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية؛ لذلك لا أفهم سبب الانزعاج الإسرائيلي من فيلم الممر المصري الذي يسجل نوعا من العمليات العسكرية المصرية التي كان يقوم بها مرارا وتكرار أبطالنا في فترة حرب الاستنزاف المصرية والتي تمثلت في الإغارة على قواعد قوات الاحتلال داخل سيناء وتدميرها وأسر بعض ضباطها وجنودها، ثم العودة إلى القواعد المصرية بالضفة الغربية من القناة رغم تدخل الطيران والمدركات الإسرائيلية لمنع قواتنا من العودة.

كما هو معروف لقد بدأت هذه الحرب تحت قيادة قيادة جمال عبدالناصر في أكتوبر ١٩٦٧ بإغراق المدمرة إيلات أمام بورسعيد وهي التي اعتادت التحرش بقواتنا البحرية وسبق أن أغرقت لنا أحد زوارق الطوربيد. ولقد توقفت هذه الحرب في أغسطس ١٩٧٠ بقبول عبدالناصر مبادرة روجرز، وزير الخارجية الأمريكي.

كذلك لا أفهم لماذا عبرت السفارة الإسرائيلية بالقاهرة عن انزعاجها من مقالتي الذي يسجل صرخات الشعر العبري وأنت الشعر تحت وطأة الضربات المصرية في تلك الفترة، وراحت تطالبنا بعدم الكتابة عن فترات الصراع المسلح بما أننا في مرحلة التعاقد السلمي المصري الإسرائيلي. (المقصود مقالتي المنشور بالمصري اليوم يوم الجمعة ١٦ أغسطس ٢٠١٩، تحت عنوان مهمة استطلاع خلف خطوط العدو عبر الشعر العبري).

إن وجود علاقة تعاقد سلمي بين الدول التي كانت من قبل في حالة صراع مسلح لا يلغى التاريخ السابق على التعاقد، كما أن التعبير الفني والتاريخي عن التجارب السابقة يجب ألا يثير مثل هذه العاصفة الإسرائيلية. ففي ذكرى حرب أكتوبر السنة الماضية أنتجت إسرائيل فيلما بعنوان الملاك تصور فيه روايتها الملفقة عن تجنيد أشرف مروان بينما الحقائق التاريخية والشهادات تؤكد أن مروان كان جنديا مصرية مكلفا باللعب خلف خطوط العدو في قواعد عقول القيادات الإسرائيلية إلى أن تقع مفاجأة الهجوم المصري السوري في السادس من أكتوبر.

إن أهمية عرضي للشعر العبري الذي أنتج خلال فترة حرب الاستنزاف واكتشفته آنذاك في الملاحق الأدبية للصحف الإسرائيلية تكمن في استكمال الصورة الفنية والتاريخية التي يقدمها فيلم الممر عن إحدى عمليات حرب الاستنزاف بكشف عن تأثير هذه الحرب في المجتمع الإسرائيلي عبر نافذة الأدب.

أن يتجنبوا حرب الاستنزاف وأيضاً حرب أكتوبر لو أنهم قبلوا تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ والذي أصدره مجلس الأمن في نوفمبر ١٩٦٧ وقبلته مصر وإسرائيل والدول العربية.

هنا عبرة تاريخية لسلامة الشعوب، أوجزها للإسرائيليين في العبارة التالية (إن أطماع التوسع الإسرائيلية ورفض الانسحاب أديا إلى كوارث لكم وتضحيات من جانبنا كان يمكن تفاديها) وهو ما يجعل الشعب المصري يلح على الإسرائيليين لاستكمال السلام الشامل بالانسحاب من الضفة الغربية وتمكين الشعب الفلسطيني من دولته المستقلة.

استكمالاً لنفس العبرة التاريخية أذكر الإسرائيليين بأن الجنرال ديان وزير الدفاع قدم اقتراحاً للحكومة الإسرائيلية بعد توقف حرب الاستنزاف بسحب القوات الإسرائيلية للخلف بعيداً عن القناة لبدء عملية السلام ولتجنب هجوم مصرى جديد غير أن الحكومة رفضت اقتراح ديان؛ لأن الفترة كانت فترة هدوء بعد قبول عبدالناصر مبادرة روجرز. لقد قدم الرئيس السادات أيضاً مبادرة للسلام الشامل، بعد أن تولى الحكم تبدأ بالانسحاب مشابه لما اقترحه ديان غير أن الحكومة الإسرائيلية رفضت أيضاً فاضطررنا إلى شن هجوم أكتوبر.

الحقيقة كما أراها هي أن الشعراء والقصاصين في إسرائيل أثناء حرب الاستنزاف كانوا أذكى من قادة الحكومة والجيش والمخابرات الذين ظلوا على عجزتهم ورفضهم الاستجابة لدعوات السلام المصرية.

كان الشعراء والقصاصون والمسرحيون في إسرائيل يصرخون تحت وقع ضربات حرب الاستنزاف مطالبين بالحكمة والتراجع عن عجرفة القوة والاستجابة لمتطلبات السلام لكن جنون العظمة الذى ركب عقول القيادات منع الاستجابة العاقلة من جانب القيادات إلى أن نزل بإسرائيل زلزال أكتوبر فانتبه القادة إلى حماقتهم التى تسببت لإسرائيل في موت الآلاف وجرح عشرات الآلاف على مذابح الأطماع التوسعية وجنون العظمة.

استمعوا معى إلى الشاعر يقوف باسار فى قصيدته (الحرب المقبلة) وهو يحذر عام ١٩٦٨ من مواصلة الغباء السياسى والاستمرار فى العناد الحكومى الإسرائيلى الذى يعنى تربية وتنشئة واستيلاء الحرب المقبلة.

يقول باسار: الحرب المقبلة.. ننشئها نربئها.. ما بين حجات النوم وحجات الأولاد. النعاس آخذ فى الاصطباغ بالسواد.. ونحن من ملامسته فى فزع.

ذراع الكهرباء تتحرك تجاه الحرب.. على محورها الملفوف بالصمت.. إنها الحرب التى تسير وسط أحاديث النساء فى المطابخ.

فى عتمة الحجات.. نسمع وقع خطاها ونحن نواظب على إغفاءة الظهيرة. وفى قاع العيون.. جملان فى لون الليل البهيم.. يرشف كلاهما من فم الآخر.. مياه الرعب الخضراء الآسنة. ذلك لأننا نستنتب فى تأن وثقة.. زهرات الحديد للحرب المقبلة.. ما بين حجات النوم وحجات الأولاد. (انظر إبراهيم البحراوى، أضواء على الأدب الصهيونى المعاصر، كتاب الهلال، يونيو ١٩٧٢).

